تقسيم العراق بين الكبار يلغي حقوق الصغار

آدورد ميرزا
كاديمي مستقل

"الشجاعة لا تحتاج الى من يدّعيها أو يتبناها إنما تظهر مرسومة على الوجوه تلقائيا ثم سرعان ما تتحول الى فعل مشروع يلتف حوله المظلومون هذا ما كتبته قبل أيام في مقال آخر".

لكني اليوم وأنا أقرأ في الإنترنت من المقالات التي تدافع عن وحدة العراق شعبا وأرضا وتقف ضد أية محاولة لتقسيمه سواء كانت بحسن نية أو بسونها، فلكل من كتب يدافع عن وحدة العراق وسلامة أبناءه كل التقدير والثناء، وانا هنا أضيف ملاحظة وهمسة في آذان إخوتي وأساتذتي قادة ورؤساء الأمم والطوائف كافة الى جانب مسيحيي العراق العريقوالحضارة وبكافة مذاهبهم .. أن ينتبهوا لكل مشروع يسعى لتقسيم العراق.. دققوا في النوايا!، كما ألفت النظر الى أن خطورة تقسيم العراق ستنعكس على الأمم جميعا لا محال حيث في العراق أمم وشعوب لها مقومات قومية خاصة يعتزون بها ومنها الأمة المسيحية والتي تتألف من عدة مذاهب ينتمون الى كنائس متعددة تجمعهم لغة واحدة وتاريخ مشترك وعادات وتقاليد مشتركة وبهذه المقومات يأتي تصنيف شعبها بأنه "شعب قومي" وله حق التمتع بالاستقلال وكامل الحقوق القومية وقد اعتمدت تسميته بالآشوري ثم الكلدوآشوري وأخيرا "الشعب الكلداني الآشوري السرياني" باعتبارهم يملكون مقومات واحدة قاسمها المشترك الدين والأرض والعادات وكل تلك التغييرات في مسميات شعبنا هي لقطع الطريق أمام المتصيدين في المياه العكرة رغم مشروعية الآشورية تاريخيا وجيوسياسيا، يا ترى أليس تقسيم العراق هو الطريق لتقسيم هذه الأمة أيضا؟، ثم أليس وحدة العراق معناها وحدة بقية الشعوب التي تعيش على أرض العراق؟، لذلك أرى أن دعم تقسيم العراق أو تأييد هذا المشروع سينعكس على سلامة وحقوق بقية الأمم، وهنا أنبه وأحذر وبشدة مرة ثانية إن دعم مشروع تقسيم العراق لمصلحة طرف معين دون غيره إنما سيجلب الخراب بل وسيشتت وحدة الأمم الصغيرة الأخرى!، أما فيما يتعلق بأحفاد إمبراطورية آشور وبابل الذين يسكنون العراق ويطلق عليهم اليوم تسمية مسيحيي العراق، هم امتداد لهذه الحضارة حيث طبعت خطوات أقدامهم على تربة العراق، هذا الشعب كان ومازال يتسم شعبه بالشجاعة والشهامة التي يعتز بها ويتفاخر بها باعتبارها إرثا شرعيا مقدسا تمسك بها منذ نشأة حضارته على أرض العراق والتي ما زالت علومها نورا يهتدي به العالم ولحد هذا اليوم!، فبالرغم مما أصاب هذا المجتمع العريق من تقسيم كنسي مذهبي يجهل الكثير أسبابه، لكنه بقي شعبا متمسكا بوحدة العراق وبوحدة أمته المؤلفة من عدة اعراق وأديان، ففي مجتمعنا اليوم والذي كان بالأمس البعيد مؤسس أعظم حضارة إنسانية، العديد من هؤلاء الأبطال الشجعان الذين يتوسمون بالشهامة وسمو الأخلاق والذين ضحوا بأموالهم وبأرواحهم في سبيل العراق وفي سبيل الارتقاء بشعبهم، هؤلاء الشجعان لم يكن في حساباتهم أنهم يمثلون مذهبا محددا أو طائفة بعينها كما يحدث اليوم في سلوك قادة العراق الحاليين، إنما كان همهم وتوجههم من أجل كل الأمة بمختلف مذاهبها، وكأمثلة على ذلك إخترت نماذج من هؤلاء الذين وقفوا بكل شجاعة ضد كل أشكال الاضطهاد والقتل والتشريد التي عصف بالأمة على أيدي "البعض" من الأنظمة الاستعمارية الكبرى التي تدّعي الديمقراطية وحقوق الإنسان، الى جانب إضطهاد البعض من العرب والأكراد ايضا، هؤلاء القادة أذكر منهم "مالك خوشابا ومالك ياقو وآغا بطرس وهرمز رسام، وآخرون كثيرون رحمهم الله"، وطبعا هناك العديد من أمثالهم في هذا اليوم من سياسيين ورؤساء منظمات المجتمع المدني الذين يقفون بكل حزم ضد مشاريع التقسيم وينادون بوحدة الأمة، أضف الى ذلك بعض الرجال الأطهار الأجلاء الكرماء رؤساء كنائس طوائفنا المحترمين، كل هؤلاء في اعتقادي الراسخ كانوا وما زالوا شجعانا يدافعون عن وحدة العراق ويسعون لوحدة الأمة، جميعهم يسعى لتأمين سلامة الأمة، جميعهم يبحث عن سبيل يوصله لحماية حقوق الأمة، جميعهم يحاول أن يزرع الحب والسعادة بين عموم أبنائها.

لكن القاسم المشترك الغائب الحاضر لعنواننا القومي الجميل والذي يتباهى الجميع بالانتماء اليه والدفاع عنه فإنه ما يزال يتعرض الى هزات ورجات وأحيانا تغييرات أو إضافات قد تفقده توازنه وتمنعه من الاستقرار، فقد حاول بعض الإخوة والأصدقاء قبل الأعداء مهاجمته بل ومحاربته لأنه كما يبدو كان في الأمس يمثل عنوان النور والسلام والقوة وأحد الأعمدة التي اتكأ عليها قادة وأبناء الأمة عبر تاريخها الآشوري البابلي المتداخل، فأعتبره المنتفعون والحاقدون اليوم تحديا لنواياهم الشريرة، ويبدوا إنهم تناسوا أن هذه الأمة قد تعرضت الى أبشع أنواع الظلم والتشريد، نعم الظلاميون والأعداء قهروا وقتلوا شعبنا بل وقسموه وشردوه!، أما اليوم وبعد التخلص من النظام الدكتاتوري فقد آن الأوان لنهيئ انفسنا وروحنا الجديدة للوقوف مع الشجعان الداعين لوحدة الأمة ضمن وحدة العراق أينما ظهرت دعوتهم النبيلة داخل الوطن أو خارجه، وحيث إننا اليوم نرى الحماس وروح الشجاعة والمسؤولية في وجوه وعيون بعض قادتنا المخلصين الى جانب القادة السياسيين العرب والأكراد والتركمان والبعض الآخر من رجال الدين مسلمين ومسيحيين وكل الأديان الأخرى المبجلين الكرام من خلال خطاباتهم ولقاءاتهم الداعية لوحدة العراق والرافضة لكل أشكال التقسيم، فإننا نهيب وندعوا شعبنا المسيحي بكل مذاهبه الكنسية لدعم هذا التوجه الشريف، والعمل الجاد لفضح نوايا البعض القليل من الساعين لتمزيق العراق أولا ثم لتمزيق وحدة الأمة القومية، كما نعلن تأييدنا لأي موقف سياسي يختاره القادة السياسيون الممثلون لكل المذاهب دون استثناء.. وهل هناك أحلى وأجمل من صورة تجمعنا كما فعل السيد المسيح في عشائه الرباني.. تحية لدعاة وحدة العراق وتحية لدعاة وحدة أمتنا والسلامة لأبناء العراق.

مذبحة صوريا في الذاكرة

بدران إمرايا/ دهوك

في ١٦ من ايلول الجاري مرت علينا الذكرى السادسة والثلاثون لمذبحة صوريا التي كانت قرية آمنة من قرى ابناء شعبنا الكلدوآشوري بسهل "صليباني" السليفاني المطلة على ضفاف نهر دجلة بمياهه الرقراقة. وكان اهالي القرية الطيبون يعيشون بجو من الهدوء والمودة والتعاون والألفة يمارسون اعمالهم الروتينية في القرية ككل يوم وكل حسب واجباته وما يتيح له من اعمال الا ان رحى الزمن لم تدر وتشأ ان تستمر الحياة في تلك الدرة السهلية وعلى ذلك المنوال المرغوب، حيث مع انبلاج نور صبيحة الثلاثاء المصادف ١٦/ ٩/ ١٩٦٩ وبينما كانت مفرزة من الجيش العراقي بقيادة السفاح الملازم الثاني عبد الكريم خليل الجحيشي من سكنة محافظة نينوى كعادتها تتوجه الى المثلث الحدودي العراقي السوري التركي "قرية فيشخابور" مارة بعدة قرى مطلة على الشارع العام ومن ضمنها القرية الوديعة صوريا بحثا عن الفارين من الخدمة العسكرية هنا وهناك وكان من خصال هذا الضابط البعثي المغرور شتم الناس وإيذاء الشباب ليشبع ميوله العدوانية وعقدة نقصه، وعند وصول المفرزة للقرية المذكورة توقفت لدقائق معدودات ولم يبخل الاهالي الطيبون عن تقديم ما وجب تقديمه لعابر سبيل، ثم واصلت المفرزة مشوارها واجتازت القرية بأكثر من خمسة كيلومترات وفجأة انفجر لغم ارضي تحت احدى سيارات المفرزة المذكورة دون ان تسفر عن خسائر بشرية، ولدى سماع اهالي القرية صوت الانفجار تناثروا متفرقين كحبات ثمرة الرمان عند وقوعها ارضا هائمين على وجوههم في البساتين والادغال والاحراش للهروب من بطش هذا الجزار الظالم. وعلى اثر الانفجار امر هذا الضابط المفرزة بالرجوع الى قرية صوريا وعند بلوغها شرع الجنود بمد طوق حول القرية وجمع الاهالي صغارا وكبارا شيوخا ونساءا في احدى حظائر الحيوانات، وفي ذلك اليوم شاء الرب ان يقصد القس حنا القرية لاكمال واجباته الكهنوتية تجاه الاهالي لكن لم يقدر احياء طقس ذلك الصباح، ولدى احضار من وقع في مخالبهم الدموية من الناس البسطاء والعزل انتصب ذلك المجرم وركب بندقيته الفتاكة صوب من هم في الحضيرة وكان القس يتصدرهم واطفال لم يتجاوزا الثلاثة اشهر باحضان امهاتهن ولم تفلح محاولات القس حنا في افهامهم واقناعهم بأن اهل القرية براء من الصلة بمصدر ذلك الانفجار حتى وجد نفسه تحت زخة من وابل الرصاص لتجعله يغرق في دمه وبذلك دارت الدائرة على هؤلاء العزل دون ان يرتكبوا أي خطأ أو مهانة والحصيلة كانت "٣٨" شهيداً و"٢٢" جريحاً ولم ينج ممن كانوا في الحضيرة سوى من حالفه الحظ وتستر بين الجثث الهامدة ومن بينهم رضيع كان يرضع من صدر امه وهي جثة هامدة غارقة بدمها. ورافقت المذبحة قصص استشهادية بطولية مثيرة حيث حاولت الفتاة "ليلى خمو" منع الضابط من اكمال فعلته الشنيعة وجريمته النكراء عندما رأت ان والدها الشيخ انبطح ساقطا على الارض ولكن ذلك الوحش الدموي وجه لصدرها السلاح وارداها قتيلة، الى جانب الفتاة "كاترين" التي رمت بجسدها النحيل على زوجها لانقاذه من براثن الموت لكن القلب الفولاذي والعديم الرحمة والرأفة لذلك الضابط المتهور صوّب نحوها البندقية وامطرها بوابل من الرصاص فتراقص جسدها الواهن على انغام قعقعة الرصاص فاستشهدت في الحال لتسجل آية من نكران الذات وقيم الشهادة والتضحية باغلى واعز الاشياء من اجل الاحبة وتكون مثلا وقمة الزوجة العظيمة.

وسجل هذا المجرم في صفحة ذكرياته السوداء صفحة مطرزة بالخزي والعار من افعال شنيعة. ولم تشبع ميوله مما اقدم عليه حتى أمر باحراق القرية وما يوجد فيها مما تدب فيه الحياة، حتى وصلت وقاحته بأمر المعاون الطبي في ناحية العاصي بعدم اسعاف جرحى جريمته النكراء. وبذلك تكون هذه المذبحة اول فعل مشين واول وسام لصليب معقوف رمز الخزي والعار واللعنة الابدية اثبت ان البعث ولد وتخرج من المدرسة النازية الهتلرية وما اقترفته في "محارق هولو كوست" وتصدر هذا العمل اللااخلاقي قائمة البعث بعد مرور عام وشهر على انقلابهم الاسود ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨ وجثوهم على صدور وانفاس العراقيين لما يقارب ثلاثة عقود ونيف وما ترتب على ذلك الانقلاب من مسلسلات ومذابح دموية وتدمير العراق ارضا وشعبا ولم تسلم منه أية شريحة عراقية وحتى البيئة التي انالها حصتها وبذلك تكون المذبحة هذه باكورة للانياب الدموية للنظام المقبور الذي كان صائما وفي سبات وتغذى بهذه الضحية الحقيرة، وعدّها بمثابة رسالة ودرس دموي مهيب للشعب العراقي. ولم تنصف هذه المذبحة بحقها الاعلامي والقانوني المطلوب لتكون على مرأى ومسمع الشعب العراق والرأي العام وبعد الاطاحة بالنظام المقبور في ٩ نيسان ٢٠٠٣ فما زال الاعلام مقصراً تجاهها والاكثر ايلاما زالت القرية على حالها كومة من الانقاض تعشش فيا الغربان وتتطاير منها ذكريات ورائحة الموت وكان من الحري لحكومة اقليم كردستان الاحاطة بها وانصافها واقامة نصب تذكاري يعكس ملامح المذبحة في منطقة وقوعها "المفرق الحدودي ديربون فيشخابور زاخو" الى جانب نصب آخر لشقيقتها مذبحة سميل "يوم الشهيد الكلدوآشوري السرياني" التي حصدت "٥٠٠٠" شهيدا في ٧ آب ١٩٣٣ بنصب تذكاري بمنطقة مفرق دهوك سميل نينوى، اسوة بباقي النصب التذكارية الكردية في الاقليم، لزيارتهم في الذكرى السنوية من كل عام والصلوات على ارواحهم ووضع اكاليل الزهور على النصب او تخليد هذه الذكريات على الطوابع المالية او غيرها من المجالات التذكارية، لانهم رووا شجرة الحرية بدمائهم الزكية وسطروا تاريخ الامم بمداد من الذهب وعلى سفر الخلود، او درج تلك الجريمة المخزية في قائمة اتهامات رأس النظام المقبور، لتعكس الوطنية الحقة والتآخي القومي الفعلي وليس الديني فقط بين الكرد والكلدوآشوريين القومية الثانية في الاقليم وانعكاس مفهوم القوميتين الرئيسيتين العربية والكردية في السلطات العراقية المركزية الى القوميتين الرئيسيتين الكردية والكلدوآشورية في اقليم كردستان وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات، وختاما نتذرع للرب ان يتغمد الشهداء برحمته الواسعة ويمطر عليهم شآبيب الرحمة والرضوان.

لم تنصف هذه المذبحة بحقها الإعلامي والقانوني المطلوب لتكون على مرأى ومسمع الشعب العراقي والرأي العام بعد الإطاحة بالنظام المقبور في ٩ نيسان ٢٠٠٣، فما زال الإعلام مقصراً تجاهها

زاوية في تصميم

هجرة العقول العراقية

سعدون الجميلي

في النظام الدولي العام باستثناءات محددة تسعى الدول قاطبة الى توفير الكثير من فرص الحياة المريحة المرتبطة بتوفير أجواء حياتية ومعاشية وتقديم الخدمات بأشكالها المتنوعة، كل ذلك يترافق مع ايجاد نظام أمني موثوق به يحدد ماهية دور الأجهزة الأمنية وكيفية إيصال خدماتها الى المواطن بصورة واضحة وصحيحة، بهدف اشعاره بالاستقرار وراحة البال.. غير ان ما يحدث عندنا اليوم يتقاطع مع ما سبق في أعلاه ومع جملة التصريحات ومحتويات اليافطات وكثرة الشعارات الحكومية بتقديم الأفضل وبأن الانسان هو ديدن الحياة ومعمرها، حيث يتعرض المواطنون لدينا للكثير من المضايقات والمداهمات والاعتقالات واحيانا لانتزاع رمق الحياة.

هذه الحالة جاءت نتيجة عدم السيطرة الحكومية وانفتاح الحدود، وعدم اكتراث الدولة بتوفير الامن أو عدم قدرتها على بسط نفوذها الامني على مساحة العراق مما سبب فشلا ذريعا لها ولجهودها في توفير أدنى مستلزمات الأمن للمواطن، وفي ظل تلك الاجواء بات العديد من العوائل تتعشم الكثير من عناء السفر بغية الانتقال الى الدول المجاورة علها تجد ملاذا آمنا، ولكنها سرعان ما تتفاجأ عند المنافذ الحدودية مع تلك الدول بقسرية الاجراءات الامنية فيها، واول تلك الاجراءات هي بقاؤها لمدة تتجاوز الـ "١٢- ٢٤" ساعة لكي تكتمل اجراءاتها ومن ثم عملية دخولها الى الدولة المعنية هذا ما عدا العوائل التي تتعرض للابتزاز المادي او لعملية الإعادة إلى العراق تحت شتى المبررات، وليست هناك احصائية دقيقة بالإمكان التثبت منها لإيجاد احصائية تقدر عدد العوائل التي سافرت والتي تسافر يوميا خارج القطر، لكن الشواهد تنقل ان اعدادها باتت على شكل طوابير طويلة، ولك عزيزي القارئ أدراك العدد بعد ذلك، ومع ذلك فإن المضايقات وعناء السفر والتعرض للإهانات والإذلال احيانا وللسرقة احيانا اخرى ولربما القتل تعد أمورا ابسط من تلك التي تلاقيها من فلتان أمني في العراق.

واذا كانت تلك الهجرة شبه المنظمة للعوائل العراقية خارج العراق لا تعني شيئا بالنسبة للدولة. ويتضح ذلك من عدم اتخاذ أية أجراءات للحد منها، فإن ذلك يلتقي بالاهتمامات الخارجية التي تريد جعل تعداد نفوس العراق خمسة ملايين عراقي بدلا من "٢٥" مليون، "لغاية في نفس يعقوب".

والأكثر أثارة، لا بل الاكثر خسارة للعراق كله ان تخرج من بين اعداد تلك العوائل مئات الكفاءات العراقية وفي شتى الاختصاصات لتتخلص من الاعباء الكبيرة التي بات الشعب العراقي بجملته يرزح تحتها، ولتؤمن لنفسها فرصة للعيش الكريم بعيداً عن متاهات الحياة داخل البلد، رغم ان ما ينطوي على تلك الهجرة من خطر كبير، ذلك أن عملية افراغ البلد من كفاءاته وقدراته وخبراته في شتى المجالات يعد بمثابة مؤامرة هي الاخطر في سلسلة تدمير العراق ارضا واقتصادا وشعبا، ناهيك عن الاحتلال، ولعل المقصود بتسهيل تلك العملية او غض النظر عنها او عدم اتخاذ أية اجراءات للحد منها لا يمكن ان ينفصل عن باب التجريم، لأن عملية إعادة البنى التحتية بعد تدميرها سيعتمد بلا ادنى شك على تلك الكفاءات العلمية ومكوناتها وفي شتى الاختصاصات فكيف سيكون الحال لو بدأنا بالعملية الآن، بالتأكيد سنحاول جاهدين الاعتماد على الخبرات الدولية في هذا المضمار، بينما قدراتنا وامكانيات وخبرات ابناء البلد والتي صرف عليها الكثير تكون قد هاجرت ووجدت ضالتها المنشودة في دول كانت تعمل الكثير لتهجير الأدمغة العراقية والاستفادة منها لأنها الأجدر على صعيد العالم، وهذا ما تؤكده الاحصائيات الغربية حول القدرات العقلية للعلماء العراقيين.

وازاء كل ذلك فإن المطلوب من أجهزة الدولة المختلفة ان تعي المسؤولية كاملة في حالة كالتي نحن بصددها من خلال استقراء الواقع واشاعة الأمن والأمان واحترام الإنسان وقدراته ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب والخروج من النفس الطائفي المرعب واعتماد خبرات وقدرات الاشخاص العلمية والعملية التي هي المعيار في التفاني للعراق ولا شيء آخر سوى ذلك، واذا تحققت تلك النظرة فإن الأمور ستسفر عن خير عميم يلف بلدنا من شماله الى جنوبه، الأمر الذي يعزز ثقة المواطن بدولته وببلده العراق وبالحكومة التي وفرت تلك الضمانات وان تعتمد سياسة العمل بالمثل مع كل الدول التي تعامل العراقي على غير ما تمليه القوانين والتشريعات الانسانية لكي ترعوي تلك الدول غداة تجاوزها على العراقي أينما وجد. والله من وراء القصد.

إلى من يهمه الأمر/ ٢

كل ممنوع.. متبوع!

طلال فكتور/ كركوك

من المعروف أن الإشارات الضوئية هي التي تنظم وقوف أو حركة المركبات في الطرقات العامة في مدن العالم المتقدمة والنامية. وأحيانا ولأسباب مرورية أو فنية أو عسكرية أو إرهابية تتوقف الاشارة الضوئية أو تمنح إجازة لتحل محلها إشارة رجل المرور التي هي الأقوى بحكم قانون المرور، وإذا غاب رجل المرور للأسباب نفسها فإن السير في الطرقات والشوارع العامة سواء للمركبات أو للمشاة تحكمه قوانين الاخلاق كالقواعد والتعليمات المرورية التي ينبغي على كل سائق معرفتها وتطبيقها.. ولا يجوز تجاوزها أو إهمالها، وبخلافه سيؤدي ذلك الى حوادث مرورية ينتج عنها ضحايا في الأرواح والممتلكات. هذه المقدمة البسيطة هي مدخل لما أريد أن أقوله ومن المنصف إبتداءاً أن نوجه شكرنا وتقديرنا الى رجال المرور في العراق لما يبذلوه من جهود استثنائية في تنظيم عملية السير في الطرق القديمة والمغلقة معظمها بالكتل الكونكريتية والأسلاك الشائكة وسط دخان الإنفجارات والقذائف المتطايرة والسرعة الصاروخية لسيارات الأجهزة الأمنية فضلاً عن مرور السادة من القوات المتعددة الجنسيات بسياراتهم ودباباتهم التي لا تلتزم ولا تعترف بقوانين المرور.

المهم إن شوارع العاصمة بغداد والمدن الرئيسة الأخرى تشهد اختناقات مرورية لم يشهد لها مثيل، يضاف الى ما ذكرناه فإن استيراد عشرات الآلاف من السيارات الحديثة دون دراسة وتخطيط مسبق، نجم عنه زخم في المرور إضافة الى استهلاك كبير للوقود وقطع الغيار ومراكز الإدامة. هذا ما نشهده كل يوم وهو واقع حال منذ أكثر من سنتين ونيف ولا حول لنا ولا قوة في تغيره في الوقت الحاضر فهو خارج عن الإرادة.

ولكن من المؤسف حقاً أن سواق المركبات "يزيدون الطين بلة" كما يقول المثل الشعبي، فترى قسما منهم يقود سيارته عكس اتجاه السير والآخر فوق الرصيف ليدفع بالمشاة للسير فوق أسيجة الدور أو الدوائر هذا بالنسبة للرجال الأصحاء، أما النساء وكبار السن فلا قدرة لهم على القفز لذلك عزفوا عن الخروج من دورهم وخلت الشوارع من الوجه الحسن، كما خلت من الماء والنباتات لتصبح أكبر الأماكن لتجميع القمامة في العالم. والمؤلم أكثر هو أن بعض سواق المركبات يمارسون وبشكل متعمد بعض الأساليب التي من شأنها عرقلة السير وازعاج المواطنين بحجة الديمقراطية منطلقين من مبدأ الجهلة: "كل ممنوع متبوع"، حيث يقودون سياراتهم بسرعة جنونية مع استخدام مفرط للمنبهات ذات النغمات الموسيقية العالية من مختلف التراث الموسيقي العالمي والمحلي، أو الاجتياز من جانب اليمين أو الوقوف في وسط الشارع لإلقاء التحية وتحديد موعد مع أحد الأصدقاء أو لمناقشة قضية عشائرية أحياناً أو للإجابة على نداء جهاز الهاتف المحمول "الموبايل"، والسيارات وراءهم متوقفة تنتظر رحمة الله ورحمة هؤلاء الجهلة.

وأخيراً وليس آخراً أختم مقالي بالقول إن السياقة ذوق وفن وأخلاق، فيا أيها السادة السواق: إن الذي تمارسونه فوضى، وليست الديمقراطية هي الفوضى، وتذكروا دوما أنكم في شوارع بغداد عاصمة الدنيا ومركز الثقافات والحضارات!!.. والسلام عليكم.

العراق في متاهة المجتمع المدني والمجتمع الاخلاقي*

د. برهان شاوي

الانسان العراقي الباحث عن المعنى في وطنه، والباحث عن معنى لوطنه، يجد نفسه في متاهة معقدة، مليئة بالمطبات السياسية وسوء النية الحزبية، والعمى السياسي، وشراسة الحقد العنصري والطائفي، والهوس المذهبي، والإرهاب البعثي- الاصولي الأعمى، والانتظارات المريبة الحبلى بالمفاجآت غير السعيدة، ومن جهة اخرى يرنو بشوق وأفتخار الى الأمل المتألق في عيون العراقيين الحالمين بالعراق الجديد.

لقد سقط الصنم في التاسع من نيسان ٢٠٠٣، لكن شبحه المرعب لا زال يجول في كل زاوية معتمة، وفي كل دائرة من دوائر الدولة، وبين كل حشد للناس الامنين.

ورغم هذا الغسق المريب، فأن الارادة الحاسمة، والنبرة العالية التي يطلقها الضمير العراقي تؤكد بأن العراق يعيد بناء نفسه ويلملم جراحاته رغم بشاعة المشهد السياسي في العراق.

المجتمع السياسي والمجتمع الأخلاقي

في كتابه "الدين داخل حدود العقل" يتحدث "ايمونويل كانت" عن حالتين هما: حالة المجتمع المدني السياسي وحالة المجتمع الاخلاقي، قائلا: حالة المجتمع السياسي القانوني المدني هي القائمة على العلاقة بين الناس بعضهم ببعض من حيث هم يخضعون معا لقوانين النظام العام، وكلها قوانين قهرية مفروضة، اما حالة المجتمع الاخلاقي فهي حالة يوجد فيها الناس مجتمعين تحت قوانين غير قهرية، اي تحت قوانين الفضيلة فحسب، لكنه في موضع آخر يستدرك قائلا "ينبغي أن لا يبدأ التكوين الاخلاقي للانسان بإصلاح الاخلاق، وانما بتحويل العقلية وتأسيس أخلاق جديدة، علما ان الناس عادة يسلكون طريقاً عكسياً فيحاربون الرذائل بشكل خاص، تاركين جذرها المشترك سليماً على حاله".

ورغم اننا لا زلنا بعيدين عن المجتمع المدني القانوني، واننا نسعى لذلك، خلال إقرار الدستور الذي سيشكل المرجعية القانونية للدولة، وتطوير هذا الدستور لاحقا بإتجاهات اكثر انسانية، الا اننا أبعد ما نكون عن ذلك المجتمع الاخلاقي الذي تحدث عنه "كانت" وغيره من الفلاسفة والمفكرين.

إجتثاث الفكر العنصري، والأصولي، والقومي المتطرف مسألة أخلاقية

ان القانون الاخلاقي الأساس الذي يقوم عليه المجتمع الاخلاقي هو ان يكون تحقيقنا لواجبنا في إنسجام واتفاق مع ارادة الخير فينا، فالأخلاق تقوم على أساس مفهوم الانسان من حيث هو كائن حر يلزم نفسه عن طريق عقله وبارادته الحرة بالإلتزام بواجبه، اي ان الحرية الفردية والاجتماعية في فعل الخير هي أساس الأخلاق، وبهذا الصدد فأن معالجة أصل الشر، وأصل الرذيلة هو الشرط الضروري لقيام المجتمع المدني ومن ثم الأخلاقي، وفي حالة العراق، فأن إستئصال البعث وفكر البعث، وكل فكر عنصري، وبناء المجتمع المدني ومن ثم الأخلاقي.

الإحتلال الانكلوامريكي لم يقطع جذر الرذيلة، بل انه في نشوة النصر ضرب هذا الجذر، لكنه سرعان ما تراجع عن كل شعاراته الاخلاقية بسحق الشر من جذره، فقد أتاح لعتاة القتلة سبل الحياة من جديد، لذلك فأن التصدي لهذه القضية ومناقشتها بشكل مسؤول هي جزء من بناء الثقافة الوطنية والانسانية الحرة في العراق، بعيداً عن ترهات البعض باللعب بمفهوم الحرية الفكرية وبالممارسة الديمقراطية، لمصالح مفضوحة وتافهة، لا سيما عند هؤلاء المثقفين الذين يسعون للحصول على موقع سياسي او وظيفة إدارية مرموقة، وهذه ايضا مسألة ثقافية.

المجتمع المدني في العراق

المجتمع المدني في العراق يجب ان يكون مجتمعا حرا، مسالما، خاليا من الآيديولوجيات الشمولية المتطرفة، خاليا من أي فكر قومي أصولي متطرف، لأية قومية كانت، مهما تغنت بأمجادها الغابرة، وأن يكون خالياً من أي فكر ديني شمولي، بل يجب التأكيد على مبدأ "الدين لله والعراق للجميع".

وهكذا، نجد أنفسنا امام إشكال فكري وثقافي هائل، قبل أن يكون إشكالا سياسيا متأزما، علما ان المفكرين العراقيين والمثقفين القلقين المهمومين بالأسئلة المشاكسة تم إبعادهم عن المشهد السياسي في العراق، سواء بإرادتهم وسلبيتهم، او من قبل قوات الاحتلال والأحزاب القائمة التي تخاف الثقافة المشاكسة بالتأكيد، فليس هناك ثقافة انسانية تقبل بالإحتلال، وليس هناك مثقف يقبل ان يكون وطنه محتلا، رغم ان المشهد العراقي من الغرابة والتشويه بحيث ان أعداء العراق يزاودين على العراقيين في وطنيتهم وفي محاربتهم للإحتلال. بل هناك من لم يعد يكتفي برحيل الاميركان من العراق، وانما اخذ يقتي بقضايا تخص بنية الشعب العراقي، وتشكيلاته القومية وطوائفه ومله.

مسودة الدستور العراقي بين الدنيوي والديني

من يقرأ مسودة الدستور العراقي المطروحة للتصويت، ويتفحصها، سيجد أنها تحاول أن تمسك بالمعادلة المتناقضة والصعبة، إلا وهي وضع الدنيوي والديني في نسيج قانوني واحد. فمن الإقرار المطلق بحقوق الإنسان كما أعلنتها المواثيق الدولية، حيث الكل سواسية أمام القانون، ولا فرق بينهم من الناحية الدينية، والقومية، والعقائدية، والإجتماعية، والسياسية، والأثنية، والفكرية، والجنسية، إلى الإقرار بتطبيق الشريعة، بإعتبار الإسلام مصدرا للتشريع لاسيما فيما يخص شؤون الميراث، وتعدد الزوجات، والآداب العامة، والتأكيد على دور المرجعية الدينية والطقوس الدينية وما شابه ذلك.

أي أن الدستور يسعى لتأكيد المرجعية الفكرية للمجتمع المدني، من خلال التأكيد على حقوق الإنسان، لكنه من جهة أخرى يسعى لتأسيس المجتمع الأخلاقي، المبني على المرجعية الدينية، رغم أن هذا لا يعني أبدا بأن المجتمع المدني بلا أخلاق، لا ولا يعني أيضا بأن المجتمع الأخلاقي الديني مجتمع لا يعترف بسيادة القانون الوضعي وبالمجتمع السياسي.

إلا أن غياب الثقافة الدستورية، الديمقراطية، عن الوعي الجمعي للمجتمع العراقي، وتصاعد نبرة الغلواء السياسية والدينية المتطرفة التي تتلبس التاريخ الإجتماعي والتراث الديني، وتتمسح بالأخلاق وبالآداب العامة "وهذه عبارة غامضة وحمالة أوجه عند التأويل" تجعل مسارات المجتمع العراقي المستقبلية غامضة ومريبة.

إشكالية التنوير الإجتماعي

أنه من الواضح جداً في أن الوضع في العراق معقد، ومثير للتأويلات والمخاوف، من حيث أن أنهماك السلطة السياسية في العراق بتثبيت قدمها، وتأكيد قوتها، والإرتقاء بهيبتها، وبناء مؤسسات الدولة المدنية من جهة، وسعي الأحزاب المهيمنة على هذه السلطة في الترويج لمشروعها السياسي والآيديولوجي الخاص بها، وليس الإهتمام بالتنوير الإجتماعي، ونشر الثقافة العلمية، والإنفتاح على الفكر الإنساني والحضارة الإنسانية، من جهة أخرى، والتعامل مع الآخر من زاوية الشك والريبة والأحكام المسبقة يجعل كل البرنامج السياسي للدولة العراقية يبنى على قاعدة رخوة، تهدد بالإنهيار مستقبلا، مهما طالت أو قصرت المدة.

إن دستوراً كاملاً ومتكاملاً، بلا نواقص، وبدون التي واللتيا، لا يعني شيئا، وسيكون بلا قيمة تذكر، بدون ثقافة دستورية إجتماعية، وبدون وعي ديمقراطي شعبي، وبدون تنوير إجتماعي حقيقي.

تنوير إجتماعي يؤكد على أن الأخلاق هي تجسيد لإرادة الخير فينا، بغض النظر عن مرجعيتها الدينية أو الدنيوية، وإن الأخلاق الطبيعية والإنسانية تقوم على فعل الخير بعيدا عن فكرة الجزاء والثواب، وهي فيض ينبع من الفطرة الإنسانية.

إن تنويراً إجتماعياً حقيقياً تساهم فيه كل مؤسسات الدولة وكل وسائل الإعلام المقروءة والسمعية البصرية، وتربية الإنسان العراقي بثقافة التسامح وقبول الآخر ودونما أحكام مسبقة، هو الضمان الحقيقي لسلام العراق، وليس الضخ الإعلامي، ليل نهار، في خلق وعي إجتماعي وسياسي مزيف، وتأجيج مشاعر الإنسان العراقي، دونما أية محاولة جادة وحقيقية ومخلصة للتطهير الإجتماعي.

إن السلام الحقيقي للعراق يكمن في بناء المجتمع المدني المبني على إرادة الخير في أفعال وضمائر أبنائه، بغض النظر عن الدين والطائفة والملة والمذهب.

* عن صحيفة صوت العراق الألكترونية.